الفصل العاشر

المكتبة

كان معهد العلوم (الموسيون) مركز البحوث العلمية . وكانت المكتبة، مركز الدراسات الإنسانية، غير أنها كانت أيضًا قسمًا ضروريًّا من أقسام معهد العلوم ، ولذا فمن غير المفيد أن نبحث فيما إذا كانت المكتبة ،أو لم تكن جزءاً من الموسيون ، لأنها كأية مكتبة فى إحدى جامعاتنا الكبرى، تفيد كل قسم من أقسام الجامعة،وتلبى فى نفس الوقت حاجة الباحثين فى خارجها. والشيء المؤكد هو أن الموسيون والمكتبة . كليهما — مع أنه لم تضمهما أرض القصور الملكية — كانتا على الأقل فى البروكيون[1] ،وهو الحى المقدونى — اليونانى فى الإسكندرية ، وأنهما خضعا معاً للأوامر الملكية .

كان فى إنشاء بضع قاعات وأروقة ما يكفى لتأسيس الموسيون ولتسجيل أسماء الباحثين المقيمين به ، إذ كانت المستازمات الأولى لذلك فى غاية البساطة، غير أن نمو المكتبة كان شيئًا يختلف عن ذلك ، لأن الحاجة الأولى هى جمع المخطوطات، حتى إذا صار عددها وفيراً ، احتاج الأمر إلى مبنى لضمها ، والاحتفاظ بها فى ترتيب جيد .

وعلى هذا المنوال نشأ كثير من المكتبات الكبرى فى العالم ؛ إذ تجمعت للمكتبة بعض ذخائرها ، وتكونت بعض مجموعاتها من هذه الذخائر. وذلك قبل أن تتأسس المكتبة وتقوم بوظيفتها العلمية التقليدية .

المكتبات القديمة

كانت مكتبة الإسكندرية أشهر المكتبات فى العالم القديم ، لكنها لم تكن

المكتبة الوحيدة على أية حال ، كما أنها لم تكن أقدم المكتبات ، لأنه من المؤكد أن مجموعات من أوراق البردى وجدت فى مصر ، كما وجدت مجموعات من الألواح المسمارية فى بلاد ما بين النهرين . غير أن أقدم المكتبات التى اشتملت على هذه المجموعات ضاعت وتبعثرت ، ولو أن بعض ذخائرها وصل إلينا ، وصادف كثير من الحظ رجال الآثار بكشف مكتبة الملك آشور — بانى — بال (وهو من ملوك آشور فى عهدها الأخير ٦٦٨ — ٦٢٦ ق. م.) بمدينة نينوى ، واسم هذا الملك عند اليونانيين ساردانابالوس[٢] . ونستطيع أن نقول بأن مكتبات خاصة وعامة[٣] كانت فى العالم المتكلم باللغة اليونانية. فكان لأرسطو مكتبة كبيرة ، وإذا نحن اعتمدنا على ما ذكره سترابون ، كان أرسطو نفسه هو الذى وضع أساس ترتيب المكتبة الملكية فى الإسكندرية[٤] .وتأسست مكتبات عامة أخرى فى أثينا ، ثم فى أنطيوخيا (أنطاكية) وبرجامة ، وجزيرة رودس وإزمير وكوس وغيرها. لكن مكتبة الإسكندرية كانت دون شك أكبر المكتبات ، وفاقت بشهرتها عليها جميعًا ، وبالرغم من ضياعها عن آخرها ، فإننا نعلم عنها أكثر مما نعلم عن أية مكتبة أخرى .

كانت مكتبة الإسكندرية أفخم مكتبات العالم اليونانى فى الأزمنة القديمة ، غير أنه مما يدعو إلى العجب أن اسمها لم يصل إلينا ، ولم يظهر فى اللغات الأوربية كما ظهرت كلمة موسيون . فإن الاسم الفنى للفظ « مكتبة » فى اللغة اليونانية ، وهو لفظ تحتوى عليه لغات كثيرة ، كان يعنى أولا خزانة كتب ، وكان يعنى أيضًا مجموعة من الكتب فى المفهوم المكتبى ، كما نقول نحن مكتبة الأطفال إشارة إلى مجموعة فرعية خاصة بالأطفال فى مكتبة من المكتبات الحديثة ، ولكن استخدام هذا اللفظ بمعنى مكتبة جاء متأخراً ، ولم يكن فى أول الأمر شائعًا ، وكان المؤرخ بوليبيوس أول من استخدم كلمة مكتبة فى هذا المعنى[٥] . أى إن خصائص المكتبة هى وجود مجموعات من الكتب ، ومبنى يضم هذه المجموعات ، وفئة من الموظفين لحفظ هذه المجموعات وترتيبها والإشراف على استخدامها ، وهذه الفئة من الموظفين تكون فى أول الأمر فرداً واحداً ، حتى

إذا نمت المكتبة من حيث محتوياتها وأهميتها صارت فى حاجة إلى عدد من أولئك الموظفين فضلا عن مدير أو أمين للمكتبة، وهذا يؤدى بنا إلى سؤال لا يزال فى حاجة إلى جواب ، وهو : من أول أمين مكتبة فى التاريخ ؟ .

أمناء مكتبة الإسكندرية : جمع ديمتريوس الفاليرى اليونانى نواة مكتبة الإسكندرية وهو فى بلاد اليونان ، ويمكن أن يطلق عليه مؤسس فكرة المكتبة، ولو أن هذا الشرف أو أكثر منه ينبغى عدلا أن ينسب إلى الملكين الأول والثانى من البطالمة، إذ كان بطلميوس الأول (سوتر) هو الذى أمر بتأسيس المكتبة وتنظيمها على نفقته ، ثم أكمل ذلك خلفه بطلميوس الثانى (فيلادلفوس) — ومن ثم ينبغى أن نقول إن مكتبة الإسكندرية أسسها سوتر وفيلادلفوس وديمتريوس. فهل كان ديمتريوس أول أمين للمكتبة — إذا كان من المستطاع أن نقول ذلك ؟ يكون من الأصوب أن نطلق على زينودوتوس الأفيسى (of Ephesos) لقب الأمين الأول[٦] .

وفيما يلى قائمة بأسماء الأمناء كما جاء فى الدراسة المفصلة لمكتبة الإسكندرية :[٧] .

الأمناء	تواريخ تقريبية
١ — ديمتريوس الفاليرى	حوالى ٢٨٤ ق. م .
٢ — زينودوتوس الأفيسى	٢٨٤ — ٢٦٠
٣ — كاليماخوس البرقاوى	٢٦٠ — ٢٤٠
٤ — أبوللونيوس الرودسى	٢٤٠ — ٢٣٥
٥ — إراتوسثنيس البرقاوى	٢٣٥ — ١٩٥
٦ — أريستوفانيس البيزنطى (نسبة إلى قرية بيزنطة القديمة)	١٩٥ — ١٨٠
٧ — أبوللونيوس إيدوجرافوس	١٨٠ — ١٦٠
٨ — أريستارخوس الساموتراقى	١٦٠ — ١٤٥

وسوف تظهر أسماء أولئك الرجال مرة أخرى فيما يلى هنا ، ما عدا أبوللونيوس إيدوجرافوس وهو من علماء النحو، وتاريخ حياته غير معروف على وجه التحقيق ، لكن من المعروف أنه اشتغل بالمكتبة فى ترتيب قصائد الشاعر اليونانى بندار[٨] .

وهذه القائمة ليست مؤكدة تمام التأكيد من عدة وجوه، والأسماء التى يحتمل أن يتفق جميع العلماء على صحتها هى زينودوتوس، وأپوللونيوس الرودسى وأپوللونيوس آخر : وإراتوستينيس ، وأريستوفانيس . وأريستارخوس، ثم إن هذه القائمة تثير ملحوظتين واضحتين ، وهما : أولا أن الإسكندرية البطلمية كانت مدينة عالمية تجمع جاليات بشرية مختلفة، وثانيًا : أن هذه القائمة تنتهى بانتهاء النصف الأول من القرن الثانى قبل الميلاد. يضاف إلى ذلك أنه لا توجد أية إشارة فى أى مصدر من المصادر إلى أمين لمكتبة الإسكندرية بعد هذا التاريخ ؛ وسوف نعود إلى هذه الحقيقة الشؤم فيما يلى، ثم إنه إذا نحن اعتمدنا على ما لدينا من أسماء الأمناء الواردة هنا، فمن الواضح أن العصر الذهبى لمكتبة الإسكندرية لم يظل سوى قرن ونصف قرن من الزمان ، لأنه ليس من المعقول أن تزدهر مكتبة ما دون أن يكون لها أمناء معروفون .

نمو المكتبة : يرجع الفضل إلى إقدام الملوك الذين رعوا المكتبة وإلى كفاية خبرائهم الأولين ، وهما ديمتريوس وزينودوتوس ، أن نمت المكتبة بسرعة مدهشة، وفى منتصف القرن الثالث صار المبنى الأصلى ضيقًا، فصار من الضرورى أن ينشأ ملحق للمكتبة ، وكان ذلك فى الساراپيون ، وهو الساراپيوم فى اللغة اللاتينية[٩] .

وأعطت المكتبة الأم مكتبة السارابيوم حوالى ٨٠٠ر ٤٢ لفافة بردية عن طريق الهدية أو الإعارة ، وربما كانت هذه العملية وسيلة لإفساح مكان فى المكتبة الأم ، والتخلص فى الوقت نفسه من النسخ غير الكاملة أو المكررة .

وشغف ملوك مصر بتزويد مكتبتهم وتنميتها . واستخدموا من أجل ذلك طرقًا استبدادية — ومن ذلك أن بطلميوس الثالث يوئرجيتوس (٢٤٧ — ٢٢٢ ق. م.) أمر بأن يقوم جميع المسافرين الذين يصلون إلى الإسكندرية من الخارج بتسليم ما عسى أن يوجد بين متاعهم من كتب ، فإذا كانت هذه الكتب لا تحتويها المكتبة ، أخذت من أصحابها وأعطوا بدلا منها نسخًا مكتوبة على

البردى الرخيص . وطلب بطلميوس هذا من أمين مكتبة أثينا أن يعيره البرديات الرسمية[١٠] من مؤلفات أيسخيلوس وسوفوكليس ويوريبيديس ، لكى تقوم المكتبة بعمل نسخة منها لنفسها ودفع مبلغ ١٥ تالنت ضماناً لإعادتها ، لكنه قرر الاحتفاظ بهذه المؤلفات ، إذ أدرك أنها تستحق أكثر من المال الذى دفعه، ثم أعاد لمكتبة أثينا نسخاً منها .

وكانت المكتبة بمثابة العقل لأقسام الموسيون ؛ إذ احتاج الأطباء إلى مؤلفات أبقراط ومن جاءوا بعده ، كما احتاج الفلكيون إلى سجلات الأرصاد والنظريات الفلكية الأولى، وهنا نريد أن نعرف أكانت سجلات الأرصاد الفلكية البابلية والمصرية موجودة بالمكتبة أم لم تكن موجودة هناك ؟ . وكم من أوراق البردى القديمة المتعلقة بعلمى الفلك والتنجيم كانت تحتوى عليها المكتبة؛ إذ كان لزاماً على العلميين من رجال الموسيون أن يعرفوا ما وصلت إليه العلوم عند من قبلهم ، غير أن ذلك كله لا يعنى أن هذه السجلات الفلكية والبرديات الأولى كانت توجد فى المكتبة .

ويلاحظ أن المؤلفات العلمية الأولى لم تكن كثيرة ،وكان من السهل على رجال العلم — أن يكون لدى الواحد منهم مجموعة منها، سواء فى دورهم أو فى مختبراتهم. ومما لا ريب فيه أن أمناء مكتبة الإسكندرية لقوا من أنواع المتاعب المكتبية مثلما يلقى الأمناء فى المكتبات الجامعية الحديثة ، إذ كيف يمكن التوفيق بين ما يطلبه عامة القراء والمتخصصون ، بتوزيع الكتب بين المكتبة الأم ومكتبات الأقسام المختلفة .

ثم إنه إذا انتقلنا من دائرة العلوم إلى دائرة الدراسات الإنسانية، رأينا أهمية المكتبة تزداد بصورة هائلة ، لأن المكتبة تقوم فى مجال الدراسات الإنسانية : لا بتقديم المعلومات العامة فحسب، بل تحتوى على أمهات المؤلفات الإنسانية الكبرى ، وفى استطاعة المشتغل بالتشريح أن يجد فى المكتبة كتباً ،ولكنه لن يجد أجساماً لتشريحها ، كما فى استطاعة الفلكى أن يجد كتباً فى الفلك ، ولكنه لن يجد النجوم وعظمة السماوات ، غير أنه إذا أراد الأديب أن يقرأ

الإلياذة أو الأوديسا ، أو أغانى أناكريون ، أو أشعار سيمونيديس فسوف يجد تلك الذخائر بين أيديه فى المكتبة وحدها ، وربما لم يكن باستطاعته أن يعثر عليها فى مكان آخر . وعلى هذا يمكن أن تسمى المكتبة باسم عقل الموسيون ، كما يمكن أن نطلق عليها أيضًا اسم قلب الدراسات الإنسانية .

وكانت مكتبة الإسكندرية بداية جديدة ، كما كان الموسيون حقًّا ، غير أن مؤلفات كثيرة تم تأليفها من قبل فى الدراسات الإنسانية والدراسات العلمية كذلك ، ونحن نعلم علم اليقين من مقدار ما تبنى به مرادف كلمة « مكتبة » فى اليونانية ، أن أعداداً من الكتب كانت تنشر وتباع وتجمع وتنقد على الأقل منذ القرن الخامس فصاعداً . وفى تلك الأزمنة كانت مكتبات عديدة ، كبيرة وصغيرة ، خاصة وعامة ، ولكن الجديد فى القرن الثالث هو أن ظهرت فئات من العلماء والباحثين الذى كان عملهم الخدمة فى المكتبة .

وكانت هذه الخدمة المكتبية أكثر تعقيداً وصعوبة لدى الأمناء فى المكتبة الحديثة ؛ لأن حفظ الكتب المطبوعة فى ترتيب جيد ، أمر سهل لأن كلاً من هذه الكتب وحدة مطبعية تسهل معرفتها ، على حين واجه الأمناء الإسكندريون مشكلة عدد ضخم من لفائف البردى ، ينبغى أولا معرفة كل منها ، ثم تصنيفها وفهرستها وتحقيق متونها . وكان هذا التحقيق مفتاح الصعوبات المكتبية الرئيسية ، لأن غالبية المتون التى اشتملت عليها اللفائف لم تكن على نسق واحد ، وكان تعرّفها أمراً يكاد يكون مستحيلا ، ما لم تحقق المتون تحقيقًا دقيقًا ، وما لم تنقح لتعد للنشر ، وترتب فى صورة أو صيغة منطقية .

بعبارة أخرى لم يكن أمناء مكتبة الإسكندرية قوامين أو مفهرسين كما هى الحال بين أمناء المكتبات فى العصر الحاضر ، بل كان عليهم أن يكونوا علماء متمكنين فى فقه اللغة ، والواقع أن مكتبة الإسكندرية كانت مهد علماء فقه اللغة والإنسانيين ، كما كان الموسيون مهد علماء التشريح والفلكيين ، وهذا ما سنوضحه ببعض التفصيل عندما نصف أنواع النشاط الذى قام به أفراد الباحثين .

وإذا ضاعت المكتبة وفهرسها المعقد ، فليس لدينا فكرة عن محتوياتها : ما عدا أنها كانت مكتبة غنية جداً ، وأنها اشتملت على كثير من المؤلفات التى لم يعد لها وجود . غير أن الآلاف الكثيرة من أوراق البردى التى اكتشفت فى مصر ، والتى تناولتها بحوث الباحثين فى هذا القرن الحالى ، دلت على أن سكان مصر من اليونانيين والشرقيين المتكلمين باليونانية ، كانوا على علم بالأدب اليونانى ومؤلفيه . ويبدو أن هومر كان أكثرهم شهرة ، بدليل أن البرديات الهومرية التى بأيدينا فى العصر الحاضر أكثر وفرة من جميع البرديات الأخرى مجتمعة ، ويتبعها فى الترتيب بحسب عددها برديات ديموستنيس ، ويوريبيديس وميناندروس[١١] وأفلاطون ، وثيوكيديديس وهسيودوس وأيسوكراتيس ، وأريستوفانيس وكسينوفون وسوفوكليس ، بندار وساپفو . وهناك قطع قليلة جداً من مؤلفات أرسطو ، غير أننا تعوضنا عن هذه القلة بكشف نسخة كاملة من « دستور أثينا » ، فى بردية محفوظة بالمتحف البريطانى . ومن الغريب أيضاً ، أن هيرودوت الذى ينتظر أن تكون له أهمية خاصة عند سكان مصر من اليونانيين لا يكاد يكون له أثر فى مكتبة الإسكندرية ، غير أن برديات المكتبة أمدتنا لا بقطع كثيرة من المؤلفات المشهورة ، بل كشفت لنا عن مؤلفات مفقودة ، مثل دستور أثينا الذى تقدمت الإشارة إليه ، والبردية الطبية الموجودة بلندن ، ولا شك أن هذه القطع أضافت إلى معلوماتنا إضافات كثيرة من مؤلفين آخرين ، أمثال : ميناندروس وباكيليديس وهيبيريديس ، وهيرودس ، وتيموثيوس ،[١٢] وأيفوروس . ولذا نستطيع أن نقول فى شىء من التحفظ إن سكان مصر من اليونانيين كانوا أكثر ثقافة من معاصرينا من الأمريكيين[١٣] .

لفائف البردى : تقدم البحث فى اكتشاف المصريين للبردى فى الألف الثالثة (ق. م.) فى المجلد الأول من هذا الكتاب[١٤] ويبدو أن أصول صناعة البردى ظلت على ما هى عليه فى الأزمنة اليونانية والأزمنة التالية ، ولكن كانت هناك اختلافات واضحة بين البردى المصرى واليونانى ، وكانت اللفائف المصرية تصنع من أوراق أكثر سعة وطولا ، وربما تزيد فى بعض الأحيان على مائة

قدم ، وأقصاها ١٣٣ قدماً. أما اللفائف اليونانية فكانت أصغر حجماً وطولا (أقل من ٥٠ قدماً) ، ولكنها كانت كثيرة العدد .

وكانت أوراق البردى مادة مرتفعة الثمن منذ الأزمنة المصرية الأولى، والدليل على ذلك استخدام الشقاف الخزفية للكتابة، غير أنه لم يكن من المعتاد أن يكتب أحد مسألة هامة على قطعة من هذه الشقاف ما دام فى استطاعته أن يحصل على ورقة من البردى، وفى المتحف الأشمولى بأكسفورد شقاف تحتوى على تسعة أعشار « قصة سنوحى » ، وهى إحدى مأثورات الأدب المصرى القديم ، وكانت كتابة هذه القصة حوالى نهاية القرن العشرين (ق. م.) ، وترجع هذه الشقاف إلى عصر الرامسة (حوالى ما بين القرنين ١٣ ، ١٢ ق. م.) ، وربما تكون أكبر الشقاف المكتوبة الموجودة لدينا ، ولكن هناك عدداً وفيراً من الشقاف الصغيرة[١٥].

ومما يدل على غلاء ثمن أوراق البردى ما كان معتاداً من استخدام المواضع الخالية من الكتابة ، مثل ظهور اللفائف البردية ، لأغراض أخرى لا تتصل إطلاقاً بما سبقت كتابته على وجوهها ، فضلا عما جرت عليه العادة من إزالة نص مكتوب لإيجاد موضع لنص آخر ، وأمثال هذه البرديات تسمى البالمبسست .

ونستطيع أن نؤكد أن أثمان أوراق البردى ظلت باهظة الثمن فى الأزمنة الهلينستية ، لأن صناعتها احتاجت إلى مهارة فائقة وصبر طويل . وكانت هذه الصناعة احتكاراً حكومياً، التزم به بعض المتعهدين مقابل تأدية مبلغ من المال. أما استخدام الرقوق للكتابة فابتدأ فيما بعد «(ليس قبل نهاية القرن الثالث ق. م.) وذلك فى آسيا الصغرى ، ولما كانت « الرقوق » أغلى ثمناً من أوراق البردى فإنها لم تحل محلها لأغراض الكتابة، لكنها حلت محلها فعلا حين تعذر الحصول على أوراق البردى، وهو ما حدث فى آسيا عند ما حرم تصديره بطلميوس أبيفانس (٢٠٥ — ١٨٢ ق . م.)[١٦] .

وكانت الوحدة البردية عند المصريين واليونانيين هى الورقة ، وكانت العادة أن تلصق عدة أوراق بعضها ببعض على طول أحد جانبيها ، وهو الجانب الأطول فى غالب الأحيان ، وهذه هى اللفافة البردية ، وكانت هذه الأوراق المتلاصقة تعرف فى اليونانية بكلمة كولّيما Collema ، ويمكن ترجمتها بأنها الشىء الذى يلصق به شىء آخر من نفس النوع . وكان متوسط طول اللفافة البردية حوالى ١٠ بوصات ، و بما تزيد أو تقل قليلا ، على حين قلما زاد طول اللفافة على ٣٥ قدماً . وكانت أوراق البردى تباع فى لفافات ، وكانت الكتابة تجرى على اللفافة (لاحظ أن الأوراق كانت تلصق قبل الكتابة وليس بعدها) .

وكانت أوراق البردى تصنع من لباب نبات البردى ، يقطع هذا اللباب إلى شرائح رقيقة ، ويوضع عدد منها جنباً إلى جنب ، ثم توضع طبقة ثانية منها متعامدة فوق الطبقة الأولى ، ولما كان اللباب لزجاً ، فإن الطبقتين كانتا تلتصقان بالضغط عليهما . وفى صنع اللفافة البردية تكون الشرائح الأفقية على جانب واحد — وهو وجه الورقة — على حين تكون الشرائح العمودية فى الجانب الآخر ، وهو ظهر الورقة .

وكان وجه الورقة هو الأحسن والمخصص للكتابة . وفى أجود أنواع أوراق البردى كان ظهر الورقة لا يستخدم للكتابة ، وربما كان يستخدم فيما بعد من أجل الاقتصاد . ويلاحظ أن جميع الشرائح كانت أفقية على الوجه فيما عدا الورقة الأخيرة . وهى التى تكون خارج اللفافة بعد لفها ، ولذا تنعكس عملية ترتيب الشرائح فى هذه الورقة الأخيرة ، فتكون الشرائح عمودية ، وذلك للتقوية ، وفى الأزمنة المتأخرة — أى فى الأزمنة الرومانية والبيزنطية ، كانت هذه الورقة الأخيرة تحمل العلامات المختلفة المتصلة بالحكم ، وكانت هذه الورقة فى اللفافة هى الأولى ، ومن أجل هذا كانت تسمى باليونانية : « كوليا » أو بروتوكولون (ومنها اشتقت كلمة بروتوكول) .

وربما يدهش القارئ كيف أتيحت لنا معرفة ذلك كله ، وخاصة إذا كان هذا القارئ غير عارف بالاكتشافات الجديدة ، والواقع أن معرفتنا بالبردى (اليونانى) حديثة نسبيًّا ، ومع أن بعض البرديات اكتشفت منذ ١٧٧٨ ، فإنها لم تجتذب اهتمامًا كبيراً حتى نهاية القرن الماضى . وهكذا ولد نظام علمى جديد (١٨٩٥ — ٩٦) ، أو فرع مساعد لفقه اللغة ، وأطلق عليه «علم البردى» وكان ذلك فى السنة التى اكتشفت فيها أشعة رونتجن ، أى أن علم البردى وعلم أشعة الراديوم ظهرا فى سنة واحدة ، وهذه مصادفة تسترعى النظر ، وكما كانت الأشعة السينية بداية الفيزيقا الجديدة ، كان علم البردى بداية تاريخ جديد لمصر والعالم الكلاسيكى ، إذ ساعد البردى فئة من الباحثين للتعمق فى دراسة الماضى ، كما ساعدت الأشعة السينية باحثين آخرين فى اختراق غور المظاهر السطحية[١٧] .

وفى أقل من نصف قرن من الزمان استطاع الباحثون من دول مختلفة أن يعثروا على عدد كبير من لفائف البردى ، ومعظمها قطع منفصلة ، وهذه اللفائف ترجع إلى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد وتستمر إلى منتصف القرن الثامن الميلادى ومعظم هذه اللفائف مكتوب باليونانية ، وبعضها باللاتينية ، أو القبطية ، أو العربية . (كانت بلدة أوكسيرنخوس[١٨]) — وهى البلدة المصرية الواقعة على حافة الصحراء الليبية — أغنى المواقع التى عثر فيها الباحثون على كثير من أوراق البردى . والواقع أن هذه البلدة ، كانت مصدراً لعدد من الوثائق البردية ، التى زودت معرفتنا بإيضاحات كثيرة ، عن الأزمنة الكلاسيكية والعصور الوسطى الأولى .

وهنا يواجهنا هذا السؤال : كيف كانت اللفائف البردية ترتب على رفوف المكتبة فى العصور القديمة ؟ أو كيف كان الأمناء القدماء يقومون بما يقابل ترتيب الكتب على الرفوف فى المكتبات الحديثة ؟ . من المستحيل أن نقول شيئًا فى هذا الصدد ، ما عدا أنه من الواضح أن اللفائف البردية لا يمكن وضعها عموديًّا على الرفوف ، كما توضع الكتب ، لكنها يمكن أن توضع أفقية . وعند ما حلت

المجلدات الراقية أخيراً محل اللفائف البردية على الرفوف فمن المحتمل أن المجلدات الرقّية كانت توضع كذلك أفقية كما كانت الحال فى بعض البلاد الشرقية قديمًا بشأن الكتب العربية والفارسية والصينية[١٩]، غير أن المجلدات الرقّية لم تظهر إلا بعد ذلك بزمن طويل ، ولم تنتشر حتى القرن الخامس الميلادى ، أى إن السنوات الألف التى استخدمت فيها أوراق البردى أعقبتها ، على قول كنيسون ، ألف سنة أخرى استخدمت فيها المجلدات الرقية بدورها ، وذلك حتى حل الكتاب المطبوع بدوره محل المجلدات الرقية ، وهذا مع العلم بأن الكتاب المطبوع لم يبلغ من العمر حتى الآن سوى نصف ما بلغه كل من أسلافه من اللفائف البردية والمجلدات الرقية[٢٠] .

غير أنه لا ينبغى أن نسابق التطور فى ترتيب اللفائف البردية فى المكتبة القديمة، إذ السؤال الأول هو : كيف كانت هذه اللفائف ترتب على الرفوف ؟ الجواب على ذلك هو : أنه لما كانت اللفائف مصنفة حسب موضوعاتها كان من الضرورى جمعها فى حزم منفصلة بعضها عن بعض، وكان من المستطاع القيام بذلك حين توضع اللفائف أفقية على الرفوف بحيث لا تستطيع اللفائف المتشابهة أن ينزلق بعضها عن بعض ، ومن المستطاع اجتناب ذلك الانزلاق بوضع فواصل عمودية كافية وتقسيم الرفوف إلى أقسام وعيون بقدر ما هو مطلوب .

ومن المحتمل أن اللفائف البردية النفيسة ، كانت موضع عناية خاصة ، كما يفعل اليابانيون فى صور الكاكيمونو والماكيمونو[٢١] ، وذلك بثقوبة أطراف اللفائف البردية، وربما كان ذلك بواسطة قطعة من رقيق الخشب تبرز من جانب البردية وتجعل طيها وفتحها سهلا . وكان من المحتمل كذلك أن يلصق باللفافة البردية ورقة تحمل العنوان وتكون أكبر حجمًا من اللفافة نفسها، واسم هذه الورقة سيللبوس (Sillybos). وفى الأزمنة الرومانية جرت العادة بوضع عدد من لفائف البردى فى علبة من العلب المحققة لذلك الغرض واسمها فى اللغة اللاتينية

كابسا (Capsa) ، وربما كانت هذه العلب تحمل عنواناً مستقلاً دالاً على محتوياتها ، وكانت هذه العلب ، كما كانت عيون الرفوف المكتبية، حلولا متشابهة لمشكلة واحدة ، ونستطيع أن نؤكد أن هذه الحلول أو تلك كانت مستخدمة فى كل المكتبات الكبرى .

غير أننا لم نتناول حتى هنا موضوع الكتابة على اللفائف البردية . والمعروف أن ذلك كان يجرى فى صفحات اللفافة التامة الصنع ، مع قطع أى جزء زائد منها بسهولة . وكان الكاتب يكتب فى أعمدة اسمها سيليس[٢٢] (Selis) فى اللغة اليونانية ، وكان اتساع العمود الواحد يختلف باختلاف الأبيات فى القصائد الشعرية .

أما فى النثر فكان اتساع العمود حوالى ٢ ١/٢ — ٣ بوصات ، يفصلها بعضها عن بعض نصف بوصة أو أكثر . وكان العمود الواحد يتراوح بين ٢٥ إلى ٤٥ سطراً ، وفى السطر الواحد من ١٨ — ٢٥ حرفاً. ولم تكن الكلمات مفصولة بعضها عن بعض ، كما أنه لم يكن هناك أصل للترقيم ، ما عدا وضع نقطة أو شرطة للدلالة على وقف ، وتسمى الشرطة باراجرافوس (Paragraphos) فى اللغة اليونانية . وكان يستدل على خاتمة الكلام فى البردى بتزويق زخرفى كإكليل من الزهر (Coronis) . أما إذا كان هناك عنوان ، فكان يوضع فى آخر اللفافة لأن هذا الجزء من اللفافة هو الذى تسهل قراءته أول ما تفك اللفافة .

ولما كان أمناء المكتبات يحرصون دائماً على ازدياد مجموعاتهم من الكتب ، فإنهم كانوا يعملون على الحصول على نسخ من اللفائف البردية المعروفة، إذا لم يكن فى الإمكان الحصول عليها . ولذلك كانت بعض قاعات المكتبات فى العصور القديمة ، تبدو كأنها قاعات النسخ فى العصور الوسطى. ومن المحتمل أن كان ناسخون مخصصون يعملون فى الإشراف على النساخين العاديين وتصحيح ماينسخون . غير أنه ليس يبدو أنه كانت هناك طريقة أو منهج خاص للنسخ ،

كما حدث فيما بعد بقاعات النسخ فى العصور الوسطى فى مناسخ توروكورينى وسانت البانز أوبيورى سانت إدموندز، حيث نشأت طرق ومناهج يستطيع بها الباليوجرافى المدرب معرفة، لا تاريخ، مخطوطة فحسب، بل كذلك مكان كتابتها. ومن الممكن أن نميز بين اللفائف البطلمية واللفائف التى كتبت بعدها، غير أن ذلك يقف عند حد التمييز العام بسبب عدم وجود أسس باليوجرافية لتلك الأزمنة.

وكان النساخون الهلنستيون على وجه العموم أمناء فى النقل، وكان أكبر أسباب الخطأ بينهم هى نفس أسباب الخطأ بين الكاتبين على الآلة الكاتبة الحديثة، أى نسيان سطر أو أكثر من الارتباك أثناء الكتابة لأن العين تخلط عادة بين لفظين متشابهين فى بداية سطرين متتاليين، أو فى آخرهما، غير أن أمانة النقل التى اشتهر بها النساخون فى العصر الهلنستى لم تكن شيئاً بالقياس إلى أمانة النساخين فى العصور القديمة، لأن عملهم كان ذا صفة دينية.

حجم المكتبة: كانت مكتبة الإسكندرية ضخمة جداً، بيد أنه من المستحيل أن نعرف عدد اللفائف التى احتوت عليها.؛ وأن الأعداد التى ذكرها المؤلفون الكثيرون تختلف اختلافاً كبيراً من مؤلف إلى آخر. ولما كانت المكتبة فى نمو مستمر فإن أعداد لفائفها ازدادت، وكان بها ٢٠٠,٠٠٠ لفافة أواخر أيام حكم سوتر، نقلا عن تقدير معين، ١٠٠,٠٠٠ لفافة أواخر أيام حكم ابنه نقلا عن تقرير آخر، ويذكر آخرون أن هذا العدد بلغ ٥٠٠,٠٠٠ لفافة أو ٧٠٠,٠٠٠ وذلك فى أيام يوليوس قيصر. دعنا من هذه الأرقام المتضاربة فإن الأعداد المنسوبة، إلى التواريخ المتقدمة تستطيع أن تحمل معانى مختلفة؛ لأنها ربما تشير إلى عدد المؤلفات أو عدد اللفائف، إذا كانت هناك أحياناً عدة مؤلفات مكتوبة فى لفافة بردية واحدة، أو عدة لفافات بردية مشتملة على مؤلف واحد. والواقع أن الإجابة عن السؤال البسيط التالى فى شىء من الدقة والوضوح ليست سهلة حتى فى العصر الحاضر، وهذا السؤال هو: «كم عدد مكتبتك؟». وكيفما كان الأمر فإن عدد الكتب فى مكتبة من المكاتب لا يعنى شيئاً كثيراً،

فربما كانت الكتب قيمة ، وربما كانت تافهة عديمة الجدوى . وربما كان بعضها فى حال جيدة . وبعضها الآخر فى حال سيئة ، وربما كان بعضها ناقصًا ، وبعضها الآخر منسوخًا فى نسخ قليلة أو كثيرة ، أى إن الغنى والعظمة الحقيقية لأية مكتبة لا يتوقف على عدد كتبها بل على قيمة هذه الكتب .

ومن المؤسف حقًا أننا لا نستطيع أن نصور مكتبة الإسكندرية لأنفسنا تصويراً دقيقًا ، وأقصى ما نستطيع القول هنا هو أنها كانت ولا ريب مبنى رائعًا ذا قاعات أنيقة وأعمدة . وكم نتمنى أن نشاهد أكوام البردى ، المقاعد أو المكاتب المخصصة للقراء ؟ . والمكان الذى كان يسمح فيه لهم بالقراءة والدراسة . من المحتمل أن كانت القاعات مزينة بالتماثيل والنقوش الغائرة ، أو الرسوم الجدارية . غير أن الجدران وأناقتها ليست أهم السمات فى معهد من معاهد العلم ، بل أهم هذه السمات هم الرجال الذين تأويهم هذه الجدران . والمكتبة العظيمة لا تباهى بما تحتوى عليه من الكتب . بل تفخر بمن يقصدونها من العلماء الممتازين الذين يدرسون ويبحثون فيها ، وبدون أولئك لا تكون للمكتبة أية قيمة .

ولنتكلم أولا عن العلماء القلائل الذين وردت أسماؤهم على أنهم مديرو مكتبة الإسكندرية أو المحققون العلميون المكلفون بتنظيم محتوياتها .

زينودوتوس الأفيسى

يظهر أن بعض العلماء الذين كانوا يشغلون وظيفة أمين مكتبة الإسكندرية جمعوا بين تأدية واجبات المكتبة والقيام بوظيفة مؤدبين للأمراء الملكيين . وليس فى ذلك ما يدعو إلى الدهشة ، لأن كل شىء فى مصر البطلمية كان يدور حول الملك ، لأنه لم يكن ملكًا بفضل العناية الإلهية . بل كان إلهًا بذاته . ولذا كان ستراتون مؤدبًا لفيلادلفوس ، وحينما دعى ستراتون إلى أثينا ليرأس الليقيوم حوالى ٢٨٨ ، حل محله فى هذه الوظيفة الشاعر فيليتاس الكوسى . وكان زينودوتوس الأفيسى أول أمين للمكتبة[٢٣] (النصف الأول من القرن ٣ ق. م.) وأصله

تلميذ لفيليتاس . ولو كانت نواحى نشاطه العلمى كثيرة ، فإنه كرس لها جميع ما تبقى له من وقته الذى توافر له بعد تأدية أعماله فى إدارة المكتبة. ومن المحتمل مع هذا أن تلك الإدارة المكتبية كانت لا تزال بسيطة ، لأن هذا العصر ، كان عصر البساطة الإدارية ، بل كان عصراً ذهبيًّا حقًّا. فتوزعت جميع الأعمال المكتبية بين الأمناء بروح ودية ، دون خضوع للأساليب الروتينية ، وقام الأمناء بتأديتها بكل إخلاص وفى غير رسميات . وكانت الأعمال المكتبية كثيرة متشعبة ، لأن الأمر لم يقف عند ترتيب اللفائف ، إذ احتاجت كل لفافة منها إلى فحص خاص ، وليس هذا فحسب ، بل إن النصوص ذاتها كانت فى حاجة إلى تحقيقها وإعدادها .

وكان زينودوتوس يناقش هذه الأمور مع مساعديه : وهم إسكندر البلورونى (من إيتوليا) وليكوفرون الخالكيسى (من يوبويا) وهما يونانيان مولودان فى بلاد اليونان. واقتسم هذان المساعدان بينهما عملاً عظيماً ، وهو جمع مؤلفات الشعراء اليونانيين ومراجعتها ، وأخذ زينودوتوس لنفسه نصيب الأسد من هذه المؤلفات ، أى هومر وغيره من الشعراء . فأنتج المراجعة الأولى[٢٤] للإلياذة والأوديسا. وأشار إلى بعض الأبيات المضافة (الكاذبة) لكنه لم يرفضها ، ثم أدخل عليها قراءات جديدة ووضع زينودوتوس معجما لأهم الكلمات الهومرية ، ومعجماً للكلمات الأجنبية ويحتمل أنه كان مسئولا عن تقسيم كل ملحمة من ملاحم هومر إلى ٢٤ فصلا[٢٥] احتاجت دراسته للمتن إلى كثير من التحليل النحوى ، وأدى ذلك إلى تحسينات نحوية كثيرة. كما أنه أنتج عدة نسخ منقحة من ملحمة هزيود التى عنوانها تيوجونيا — أى الكون ، كما أنه صحح بعض قصائد بندار وأناكريون .

وتنبئ القطع الهومرية التى وصلت إلينا سالمة فى لفائف البردى عن اختلافات متنية كثيرة ، وذلك لأن بعض رواتها من الدجالين والمفسدين كانت تغويهم إضافة أبيات من عندهم على نصوصها ، كما يحتمل أن يفعل الموسيقى الفنان

حين يضيف من عنده نغمة أو صوتاً وهو يؤدى قطعة موسيقية كلاسيكية . وسنحت الفرصة للعالم زينودوتوس أن يقارن بين نصوص كثير من اللفائف الهومرية ، وكان عمله الأكبر هو التوفيق بين هذه النصوص .

أما إسكندر البلوروينى فإنه قام بتصنيف الدرامات التراجيدية والهجائية ، ومن أجل ذلك سماه سويداس (النصف الثانى من القرن العاشر) بالنحوى ، وكان إسكندر نفسه أحد شعراء التراجيديا وعد من السبعة الذين عرفوا بالمجموعة النجمية الإسكندرية[٢٦] (Alexadrian Pleias) .

أما ليكوجرون الخالكيسى فإنه رتب لفائف الشعراء الكوميديين ، وكتب رسالة وافية عن الكوميديا ، وسنعود فيما يلى إلى عمله كشاعر .

كاليماخوس البرقاوى

يحتمل أن كاليماخوس ولد حول سنة ٣١٠ . وكان هو وأراتوس زميلين فى الدراسة بأثينا ، وكان أراتوس متقدماً عنه فى العمر ، وعمل كاليماخوس فى وقت ما مدرساً للنحو فى بلدة إليوسيس بالقرب من الإسكندرية ، ثم اتصل بالملك بطلميوس الثانى ، فعينه أميناً للمكتبة ، حول سنة ٢٦٠ ، وشغل ذلك المنصب حتى وفاته حول سنة ٢٤٠ ، وفى أيام كاليماخوس صارت المكتبة غنية بحيث لا يمكن استخدامها دون الاستعانة بفهرس هام ، ولذا صنف لها كاليماخوس فهرساً عنوانه باللغة العربية : قوائم جميع المؤلفات الهامة فى الثقافة اليونانية وأسماء مؤلفيها . وكان هذا الفهرس مصنفاً تصنيفاً دقيقاً بحيث اشتمل على ١٢٠ لفافة بردية ، وقسمت لفائف المكتبة إلى ثمانية أقسام وهى :

١ — المؤلفون المسرحيون .
٢ — شعراء الملاحم والأناشيد .
٣ — المشرعون .
٤ — الفلاسفة .
٥ — المؤرخون .

٦ ــ الخطباء .

٧ ــ أساتذة علم الخطابة .

٨ ــ مؤلفون متنوعون .

وهذا التصنيف مما يدعو إلى الانتباه ، لأنه يوضح أن المكتبة كانت فى جوهرها مركزاً للآداب . وهنا يأتى السؤال : فى أى قسم وضعت الكتب العلمية ؟ ربما كانت موضوعة فى القسم الرابع ، أى مع الفلاسفة ، أو فى القسم الثامن مع المؤلفين المتنوعين . وهو قسم الموضوعات المتنوعة الضرورى لإتمام أى خطة أو منهج للتصنيف . كان الترتيب فى بعض هذه الأقسام زمنيًّا ، وفى بعضها الآخر موضوعيًّا أو بترتيب حروف الهجاء . وكان لكل كتاب عنوانه ، واسم مؤلفه مع مناقشة فى أصل تأليفه إذا لزم الأمر ، مع ذكر السطور الأولى من الكتاب ، ومن المحتمل أن بعض هذه الدلالات كانت تكتب مرة أخرى فى البطاقة المرافقة باللفافة البردية ؛ لأن تصنيف عدد كبير من اللفائف يتطلب بعض إشارات للاهتداء إليها ، مع عمل بعض البطاقات لكل منها .

ومعنى هذا كله أن هذا الفهرس كان أهم بكثير من قائمة عادية ؛ لأنه تضمن ملاحظات تاريخية وتحليلية ؛ وعلى ذلك فهو فهرس مزود بالإيضاحات ، ومن المستطاع أن نسميه تاريخ الأدب اليونانى . . . كم نتمنى لو أننا لم نفقد هذا الفهرس ، لأن معظم الكتب التى كانت فى متناول علماء الإسكندرية فقدت تماماً ، وكثير غيرها من المؤلفات القديمة غير معروف لنا إلا عن طريق الاقتباسات القليلة التى نقلها منها بعض الناقلين . ولكى نقدر هذا الفهرس القديم حق قدره يكفى أن نذكر كتاب الفهرست الذى ألفه محمد بن إسحاق بن النديم (النصف الثانى من القرن العاشر) ، وهو الكتاب الذى ندين له بجزء كبير مما نعرف عن الآداب العربية المفقودة التى ربما ظلت مجهولة لدينا كما هى الحال فى كثير من المؤلفات اليونانية الهامة .

وكان تصنيف هذا الفهرست القديم عملا ضخماً ، ونستطيع بفضل ضخامة ذلك العمل أن نطلق على كاليماخوس لقب المفهرس الأول ، مع العلم

بأن عمله كان أكثر صعوبة وأكثر أصالة، بالقياس إلى عمل المفهرسون فى العصر الحاضر . ويقال إن كلياخوس لم يكن أمين المكتبة أو مديرها، بل كان مفهرساً لها . غير أن هذه المسألة لا تحتمل كثيراً من المناقشة نظراً لقلة معلوماتنا عن حدود هذه الوظائف وطبائعها . ثم إنه يجب علينا أن نذكر أن أولئك الأمناء الأولين لم يكونوا أمناء للمكتبة فحسب ، بل رجالاً من أرباب الأدب وفقه اللغة، والتحقيق والمعاجم والتاريخ والفلسفة والشعر، وربما كان الواحد منهم عالماً فى أحد هذه العلوم، أو فى بعضها، أو فى كلها . أو كانوا كذلك جميعهم .

وكان كالياخوس أستاذاً لأمناء المكتبة الثلاثة الذين جاءوا بعده، وهم أبوللونيوس الرودسى ، إيراتوستينيس البرقاوى (النصف الثانى من القرن ٣ ق. م.) وأريستوفانيس البيزنطى (النصف الأول من القرن ٢ ق . م.) .

أبوللونيوس الرودسى :

كان أبوللونيوس مصرياً يونانى الأصل، وكان مولده بمدينة الإسكندرية أو ببلدة نوقراطيس . وخلف أبوللونيوس أستاذه كالياخوس فى وظيفة أمين للمكتبة ، لكنه لم يمكث فى عمله هذا طويلاً (من ٢٤٠ — ٢٣٥) ، بل ذهب إلى رودس — حيث نال شهرة واسعة فى تدريس علم الخطابة واستوطن هذه الجزيرة وعرف بالرودسى ، ثم عاد أبوللونيوس أخيراً إلى الإسكندرية حيث عاش أواخر أيامه فى ظل بطلميوس إپيفانس (٢٠٥ — ١٨١) وكان أبوللونيوس فى أول أمره شاعراً، وصار اسمه بين الخالدين بفضل ملحمته التى عنوانها الأرجونوت . غير أننا لا نعرف ملحمته الأرجونوت ، وتاريخ توليه أمانة المكتبة غير معروف على وجه التأكيد ، وربما كان ذلك فى أثناء مقامه الأول فى الإسكندرية (٢٤٠ — ٢٣٠) ، أو فى أثناء مقامه الثانى ، أى بعد وفاة إراتوستينيس، أو بعد اعتزاله منصبه فى أمانة المكتبة (١٩٥ — ١٩٢) ، غير أن ذلك لا يهم كثيراً ، لأننا نذكر أبوللونيوس شاعراً، وليس أميناً للمكتبة ولا نعرف شيئاً عما قام به للمكتبة ، فهل كانت المكتبة آنذاك على درجة طيبة

من التنظيم ؟ . أو بعبارة أخرى هل كان الملوك لا يهتمون بتنظيمها، حتى إنهم اكتفوا بأن يعينوا فى أمانة المكتبة شاعراً ، وكل ما فى الأمر أنه عالم مشهور من علماء الخطابة على اعتبار أن مثل هذه الوظيفة كانت وظيفة اسمية بلا عمل ويكون قيامه فيها شرفاً للمكتبة[٢٧] .

إراتوسثنيس البرقاوى :

كان جميع الأولين من أمناء المكتبة من رجال الأدب ، سواء اعتبرنا ديمتريوس من بينهم أم لم نعتبره ، فهل كان معنى تعيين إراتوسثنيس فى هذه الوظيفة أنه رؤى أخيراً أن تصنيف الكتب العلمية وتحقيقها فى حاجة إلى رجل من رجال العلم ؟ . وكيفما كان الأمر فإن إراتوسثنيس البرقاوى (النصف الثانى من القرن الثالث ق . م .) ، من أعظم رجال العلم فى العالم القديم ، فإنه لم يكن رياضياً أو فلكياً أو جغرافياً فحسب ، بل كان أيضاً ضليعاً فى التاريخ وفقه اللغة ، بل يمكن القول أيضاً بأنه كان أول عالم فى فقه اللغة، لأنه كان أول من أطلق على نفسه لقب فيلولوجوس (عالم اللغة أو محبها) . ولكن هذا لا يكون صحيحاً ، لأن كثيرين من الناس استحقوا هذا اللقب قبله ، وكانوا أكثر استحقاقاً منه ،لا فى بلاد اليونان فحسب ، بل فى مصر الفرعونية، وبلاد ما بين النهرين وفى الهند أيضاً .

أتم إراتوسثنيس تعليمه فى أثينا ، ولكن استدعاه بطلميوس الثالث يوئرجيتيس (٢٤٧ — ٢٢٢ ق .م) إلى الإسكندرية وعينه أميناً للمكتبة حوالى ٢٣٥ ، ويحتمل أنه ظل فى منصبه هذا حتى وفاته حوالى ١٩٢ ، وهو فى الثمانين من العمر. وكان اثنان من مؤلفات إراتوسثنيس نتيجة لقيامه فى وظيفة أمين المكتبة ، وأولهما : دراسة حول الدراما الإتيكية ، وثانيهما دراسته المعروفة باسم « كرونوجرافيا » ؛ وهى محاولة لترتيب الحوادث الرومانية القديمة على أساس يوضح أن كاليماخوس وخلفاءه كانت تحيرهم صعاب فى الترتيب الزمنى ، وكانت تلك الصعاب كثيرة فى الزمن القديم، لأن الترتيبات المحلية كانت مستقلة

بعضها عن بعض ، وتختلف فيما بينها اختلافات كثيرة. ولذلك كان من الطبيعى لأمين للمكتبة من طراز إراتوسثنيس أن يحاول وضع ترتيب يقلل من تلك الصعوبات فى الترتيب الزمنى ، كما حاول فى علم قياس الأرض وفى تاريخ الجغرافيا .

ويمكن القول بإيجاز بأن إراتوسثنيس لم يكن أمينًا للمكتبة فحسب (كما كان أبوللونيوس) ، بل إنه ساعد على إيجاد أساس لفكرة الترتيب الزمنى فى النقد الأدبى ، وإنه كان المصنف الأول للكتب العلمية فى المكتبة .

أريستوفانيس البيزنطى

مات إراتوسثنيس حوالى ١٩٥ ، وخلفه أريستوفانيس (حوالى ٢٥٧ — ١٨٠) فى وظيفة أمين المكتبة ، وكان أريستوفانيس فى بادئ الأمر نحويًا ومؤلفًا للمعاجم اللغوية . وربما كان من أعظم فقهاء اللغة فى العالم القديم إذ أدخل قواعد جديدة فى علم نقد المتون ، وأعد تحقيقات جيدة لملاحم هومر ، وثيوجونية هزيود ، وقصائد الكايوس ، وأناكريون ، وبندار ، ويوريبيديس وأريستوفانيس الأثينى . وقام أريستوفانيس البيزنطى بدراسة النظائر النحوية أو القياسات ، أى أنه أسهم فى تنظيم النحو اليونانى ، كما أنه صنف معجمًا باللغة اليونانية وحاول يومينيس الثانى (١٩٧—١٥٩ق.م.) أن يجتذب إليه أريستوفانيس ويبعده عن بطلميوس إبيفانس (٢٠٥ — ١٨٢ ق. م.)، بتعيينه بمكتبة فى برجامة ، ومن أجل ذلك أمر بطلميوس بسجن أريستوفانيس[٢٨] .

وأعظم ما أسهم به أريستوفانيس فى النحو اختراعه أو تنظيمه لعلامات الترقيم فى الكتابة ، ذلك أننا تعودنا قراءة الكتب وهى مرقمة ترقيمًا تامًا . بحيث صار الترقيم لدينا قضية مسلمة ، كما صار النحو والكتابة نفسها. ومن المعروف أن الترقيم ليس مسألة ضرورية ، ولكنه إذا اضطر قارئ أن يقرأ كتابًا بدون ترقيم وبدون حروف كبيرة فى أوائل الجمل وأسماء الأعلام، كما هو الشأن فى اللغة

العربية ، فإنه لا يلبث أن يقدر لهذه الوسائل المساعدة على القراءة حق قدرها ، لأنه من الأسهل كثيراً للقارئ أن يقرأ كتاباً مكتوباً بعناية ، بحيث تكون الألفاظ مفصولة بعضها عن بعض ، وأسماء الأعلام مبتدئة بحروف كبيرة ، والجمل مفصلة بواسطة علامات الترقيم ، ومن المحتمل أن يزيل الترقيم كثيراً من مواضع الالتباس والخطأ فى الفهم .

وكان أريستوفانيس البيزنطى أول من أدرك ذلك تمام الإدراك ، ولكنه كان فى ذلك متقدماً على عصره . ولذا لم يستعمل أحد من النساخ هذه الاصطلاحات النحوية الترقيمية إلا بعد زمن طويل . والواقع أن هذه الاصطلاحات ظلت مهملة حتى أيام استخدام المطابع ، ولم ينتشر استعمالها إلا فى منتصف القرن السادس عشر . وتوضح مسألة أريستوفانيس هنا مدى التعقيد الذى امتلأت به أعمال الأمين من أمناء مكتبة الإسكندرية حين كانت وظيفة أمين المكتبة بمعناها الحديث جزءاً من وظيفة الأمين فى العصور القديمة ، إذ كان الواجب الأول على الأمين أن يكون فقيهاً لغوياً ، ولم يكن كافياً أن يقوم الأمناء بتصنيف المؤلفات بل كان عليهم أن يحققوا نصوصها وأن يعيدوا كتابتها . أو أن يدخلوا على الأقل التعديلات اللازمة على المادة المؤلفة .

ولم يقتصر أريستوفانيس على استنباط العلامات الترقيمية العادية المشابهة لما نستخدمه نحن من علامات الترقيم . بل إنه استنبط كذلك علامات متنوعة ضرورية فى نقد المتون والنصوص ، ومنها العلامات التى تشير إلى سطر مدخول على المتن أو لفظ مفقود منه أو تغييرات عروضية أو تكرار للمعانى . واستخدم هذه العلامات فيما حققه من ملاحم هومر . وكانت المجموعة التى أخرجها أريستوفانيس من قصائد بندار أول مجموعة كاملة من هذه القصائد ؛ إذ قسمها إلى ستة عشر قسماً بحيث كان ثمانية منها فى موضوعات إلهية ، وثمانية أخرى فى موضوعات بشرية ، وأضاف أريستوفانيس تعليقات ، وأحياناً مقدمات ، إلى جميع المتون التى حققها[٢٩] . ومن المؤلفات المنسوبة إليه تعليق على فهارس كاليماخوس ، وهذا التعليق يؤكد اعتقادنا بأن هذه الفهارس لم تكن قوائم

مكتبية، بل كانت على وجه التقريب تاريخاً للأدب اليونانى . وأعد أريستوفانيس نسخاً منقحة لمؤلفات أيسخيلوس وسوفوكليس ويوريبيديس وأريستوفانيس الأثينى . ثم إنه ألف « قاموساً » أو معجماً أدبياً. وهو يشتمل على مجموعة من القياسات والمخالفات فضلا عن مجموعة من الأمثال، وهكذا . والخلاصة أن مجموعة مؤلفات أريستوفانيس البيزنطى بلغت من الضخامة درجة تفوق التصديق ، ولا سيما إذا ذكر الباحث أن أريستوفانيس كان فى أكثر الأحيان رائداً لأول مرة فى كثير من الميادين ، وكانت تنقصه الأدوات العلمية العظيمة التى هى فى متناول علماء فقه اللغة فى العصر الحديث .

أريستارخوس الساموثراقى :

جاء الأمين التالى فى الأهمية، وهو آخر الأمناء المذكورين هنا، جاء من جزيرة ساموثريك الصغيرة التى تقع فى شمال بحر إيجة بالقرب من ساحل تراقية واشتهرت هذه الجزيرة فى العصور القديمة بما كانت تحتفل به من طقوس دينية خاصة بالإلهة التوأم كابيرى، كما صار اسمها خالداً بفضل التمثال المشهور فى الفن الهلنستى — وهو التمثال المعروف باسم انتصار ساموثريك، الذى يعد أحد مفاخر متحف اللوفر. ومن مجد هذه الجزيرة الصغيرة كذلك أنها مسقط رأس عالم عظيم من علماء فقه اللغة وهو أريستارخوس[٣٠] .

وكان أريستارخوس (النصف الأول من القرن ٢ ق . م.) الخليفة المباشر، أو الأمين قبل الأخير بعد أريستوفانيس البيزنطى، كما خلفه فى عمله ناقداً أدبياً ونحوياً ، وكتب أريستارخوس عدداً كبيراً من الشروح، وألف عدة رسائل فى النقد بلغ عددها ٨٠٠ لفافة بردية ، وكان أحد الأوائل الذين عرفوا ثمانية من أنواع الكلم ، وهى الاسم ، والصفة ، والفعل ، ، والمفعول ، والضمير ، وأداة التعريف ، والظرف ، وحرف الجر ، والعطف . كما أنه أدخل رموزاً نقطية جديدة فى تحقيقاته فى قصائد الشعراء اليونانيين .

وابتداء من زينودوتوس إلى أريستارخوس حدث تطوران متوازيان فى نقد

النصوص ، وفى بناء علم النحو . ولم يكن ذلك مصادفة عابرة أن دراسة نص من النصوص تكون مستحيلة دون تحليل نحوى ، وهذا التحليل يصبح أكثر لزوماً كلما ازدادت الحساسية فى النقد الأدبى .

وثمة مصادفة أخرى أكثر اجتذاباً للدهشة ، مع أنها تعادل المصادفة السابقة فى كون كل منهما شيئاً طبيعياً ؛ وذلك لأن علم التشريح وعلم النحو — أى تحليل جسم الإنسان ، وتحليل اللغة — تطور كل منهما فى زمن واحد . وينبغى فى الحالين أن نسلم بوجود سابق لكمية كبيرة من المعرفة التجريبية ، مع العلم بأن التطور الكبير فى كل منهما أكثر وعياً وأكثر تنظيماً فى العصر السكندرى . غير أنه من الصعب أو من المستحيل أن نقرر كيف بدأ الجسم البشرى ، أو كيف بدأت اللغة بين البشر . ومما يدعو إلى الإعجاب أن جميع ألوان الجمال المترابط المتكامل فى اللغة اليونانية من نحو صعب القواعد ، وألفاظ كاملة المعنى ، كان استنباطها إلى حد كبير فى غير وعى أو عمد . والواقع أن عباقرة الأدب اليونانى لم يعرفوا شيئاً عن النحو ، ولكن فقهاء اللغة اليونانية فى العصر السكندرى استنبطوا قواعد النحو اليونانى من مؤلفات أولئك العباقرة ، كما استنبط الأطباء علم التشريح من جسم الإنسان . ومن هذا نستطيع أن نستدل على مجهودات فقهاء اللغة ، لأن استنباط علم النحو لم يكن من عمل عباقرة المؤلفين أو النحويين ، ولكن النحويين هم الذين استطاعوا أن يستنبطوا النحو من مؤلفات أولئك العباقرة ، وهى مؤلفات انطوت واحتوت على ذلك النحو فى صياغة نحوية عامدة .

ولم يكن النقد الأولى الذى قام به أريستارخوس نقداً فقهياً لغوياً فحسب ، بل كان كذلك بحثاً أثرياً إلى حد ما ، وذلك أن أريستارخوس حاول أن يكتشف ويناقش المادة ، أى مادة الأشياء التى تدل عليها الألفاظ وتشير إليها . . .

غير أنه من سوء الحظ أن عامة الأحوال تدهورت فى مصر زمن بطلميوس السادس والسابع والثامن ، وخيم الإهمال على المكتبة . وفى سنة ١٤٥ اضطر أريستارخوس إلى الرحيل عن الإسكندرية ، وذهب إلى جزيرة قبرص حيث مات

بعد تلك السنة بسنوات قلائل ، ويقال إنه مات وهو فى الثانية والسبعين من العمر بعد أن صام صيامًا عامداً حتى الموت لأنه كان مريضًا بعلة الاستسقاء الذى لا يرجى منه شفاء .

أما مدرسة النحو التى أسسها أريستارخوس فاستمرت بعد وفاته وامتاز تلاميذه أبوللودوروس الأثينى (النصف الثانى من القرن الثانى) وديونيسيوس التراقى (النصف الثانى من القرن الثانى) فى ميدان النحو . غير أنه يبدو أن المكتبة دخلت وقتذاك فى سبات عميق . ومن المحتمل أن ملوك البطالسة الذين واجهوا وقتذاك صعوبات واضطرابات متزايدة لم يلبثوا أن فقدوا اهتمامهم بالمكتبة وقللوا من مساعدتها .

أواخر تاريخ المكتبة

ربما يريد القارئ أن يعرف هنا ماذا حدث للمكتبة بعد منتصف القرن الثانى قبل الميلاد . غير أنه مما يدل على تدهور أحوال المكتبة بعد ذلك التاريخ أننا لا نستطيع أن نذكر اسمًا لأمين من الأمناء بعد أريستارخوس الساموثراقى . وكان هذا التدهور ناحية واحدة من نواحى التدهور الهلنستى فى مصر .

ومن أيام حصار يوليوس قيصر لمدينة الإسكندرية سنة ٤٨ ق . م . كانت المكتبة لا تزال غنية جدًّا . ولما كان فى غير مقدور يوليوس قيصر أن يشحن برجاله سفن الأسطول المصرى الرابض فى الميناء، وهو أسطول يستطيع أن يقوده أمير البحر المصرى أخيلاس ويستخدمه ضده، فإن يوليوس قيصر أشعل النار فى ذلك الأسطول وامتدت النار إلى أرصفة الميناء . ويقال إنها أحرقت جزءاً من المكتبة . غير أن ذلك القول ليس من السهل تصديقه ؛ لأن المكتبة الرئيسية كانت على مسافة بعيدة كل البعد من الميناء والأرصفة ، وذلك لأن السيرابيون كان مبنيًّا بعيداً جدا فوق تل مرتفع . غير أنه من المحتمل أن كمية المؤلفات كانت قد حملت إلى الميناء لنقلها إلى روما وأن هذه الكمية من المؤلفات هى التى امتد إليها الحريق .

وفى ذلك كله ما يفسر السبب الذى جعل ماركس أنطونيوس أحد الثالوث الحاكم فى روما أن يقدم إلى الملكة كليوباترا عام ٤١ ق . م. على سبيل التعويض ما يقرب من مائتى ألف من المؤلفات التى أخذها سابقًا من مكتبة برجامة ، غير أن هذه القصة كلها ليست مؤكدة ، ولو أنها تستطيع أن تكون مقبولة . فلو أن جزءاً من المكتبة احترق بفعل يوليوس قيصر لكان من الطبيعى أن تشكو الملكة كليوباترا مما حدث ، ولكان من الطبيعى كذلك أن يقدم لها أنطونيوس تعويضًا كبيراً من ممتلكات أعدائه ، لا عدداً من الكتب التى كانت خاصة به .

وظلت المكتبة على حالها من الأهمية خلال أوائل العهد الرومانى حين كان الرومان فى نظر أنفسهم هم المحررون لمصر . غير أن ذلك لا يجد تأييداً فيما كتبه بوسيسفوس فلافيوس[٣١] (النصف التالى من القرن الأول ق . م.) لأن هذا المؤرخ كتب عن المكتبة كأنها لم توجد فى زمنه . ذلك أنه حدث فى عصر الإمبراطور الرومانى أورليان أن تلف الجزء الأكبر من البروخيون . (الحى الأرستقراطى من الإسكندرية القديمة) فهل كان معنى ذلك أن المكتبة الرئيسية تلفت معه ؟ وكيفما كان الأمر ، فالمعروف أن السيرابيون ظل قائمًا .

ومن المحتمل كذلك أن مؤلفات من المكتبتين الرئيسية والفرعية — إحداهما أو كلتاهما — صودرت على أيدى السلطات الرومانية ، ونقلت إلى روما . ومثل هذه العملية وقعت فى عصرنا الحديث على أيدى سلطات فاتحة ، وهى عملية كانت ولا شك أكثر سهولة فى أوائل القرن الميلادى الأول . غير أن أعظم أعداء المكتبة لم يكونوا من الرومان الوثنيين ، بل من المسيحيين ، وازداد تدهور المكتبة بازدياد نفوذ الأساقفة المسيحيين على مدينة الإسكندرية ، سواء أكان أولئك الأساقفة أثناسيين أم أريوسيين[٣٢]. وفى أواخر القرن الرابع الميلادى كانت الوثنية فى طريقها نهائيًا إلى الزوال من الإسكندرية حيث كان الموسيون والسيرابيون آخر المعاقل الوثنية بها ، على فرض أنهما كانا باقيين حتى وقتذاك . ومن المعروف أن أوائل المسيحيين وتلاميذهم كرهوا المكتبة أشد الكره ، لأنها

كانت فى نظرهم معقل الكفر والخلاعة، ولهذا كانت موضع الهجوم الصامت حتى آل إليها الخراب .

وكانت المكتبة وقتذاك فى السيرابيون والمعروف أن السيرابيون تهدم نهائياً فى زمن الإمبراطور الرومانى ثيودوسيوس الكبير ، وذلك بأمر البطرق تيوفيلوس (٣٨٥ — ٤١٢)، وهو الذى بلغ تعصبه ضد الوثنية أبعد الحدود . وربما تم إنقاذ كثير من المؤلفات وقتذاك، غير أن المكتبة غدت فى خبر كان تقريباً سنة ٤١٦، وذلك نقلا عن المؤرخ أوروسيوس .

وكثيراً ما تواترت قصة تزعم بأن الفاتحين المسلمين دمروا المكتبة حين فتحوا الإسكندرية سنتى ٦٤٠، ٦٤٥[٣٣]، وأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سأل وقتذاك ، هل توجد نصوص هذه المؤلفات فى القرآن الكريم أم لا توجد فإذا كانت موجودة فى القرآن الكريم فلا حاجة لنا بهذه المؤلفات ، أما إذا لم تكن موجودة فهى مؤلفات ضارة فاسدة غير أن هذه القصة كلها يعوزها التأييد ؛ لأنه لم تكن توجد مؤلفات قليلة أو كثيرة من المكتبة وقتذاك لتدميرها. ثم إن المتعصبين من المسيحيين الأولين ناقشوا هذه المسألة سابقاً، وفضلا عن ذلك فإن المؤلفات الوثنية كانت أشد خطراً على المسيحيين لأن كثيراً منهم كانوا أكثر استطاعة لقراءتها من المسلمين .

تعليقات

(١) كان البروخيون هو الحى الأرستقراطى فى مدينة الإسكندرية القديمة ، وموقعه من جنوبى الميناء الكبير ، إلى رأس لوخياس الواقع شرقى الميناء ، واشتمل هذا الحى على القصور الملكية ، ومصالح الحكومة ، ودور السادة من المقدونيين واليونانيين ، فضلا عن الضريح الملكى والموسيون والمكتبة .

(٢) انظر فهرس الجزء الأول من هذا الكتاب لموضوع المكتبات الأشورية فى الأزمنة القديمة ، ومن المعروف أن آخر ملوك آشور حكم حتى عام ٦٠٦ ق . م.

(٣) ينبغى ألا نفهم من كلمة « عامة » هنا مدلولها الحديث ، ولاينبغى أن يقصد بها ما تؤديه المكتبات الأمريكية الحديثة عن حسن الاستقبال والعناية بالقراء . ثم إن لكل من كلمتى « خاصة و« عامة » مدلولا محدودا ، فليس ثمة مكتبة خاصة تغلق بابها فى وجه أصدقاء صاحبها ، وليس هناك مكتبة عامة تفتح أبوابها لأى فرد من الأفراد لما عسى أن يكون هناك من قيود صارمة فى استخدامها .

(٤) انظر جغرافية سترابون ، ج ١٣ فصل (١) ص ٥٤ ، وهذه الإشارة إلى أرسطو بعيدة عن الإمكان ؛ فإن أرسطو مات فى ٣٢٢ / ٣٢١ ق . م . ، مع العلم بأنه صاحب فضل غير مباشر على أمناء المكتبات .

(٥) بوليبيوس (النصف الأول من القرن ٢ ق . م.) كتاب التاريخ ، ج ٢٧ ، فصل ٤ . استخدم كثير من المؤلفين اليونانيين كلمة « ببليوتيكى » عنوانا لمؤلفاتهم ، ومثال ذلك أولا أبولودوروس الأثينى (النصف الثانى من القرن ٢ ق . م.) ، ونعتبر الببليوتيكى الخاصة به أحدث قرنا على الأقل من استعمال هذه الكلمة بهذا المعنى . وثانيا ديودور الصقلى (النصف الثانى من القرن الأول ق.م.) ، فوتيوس البيزنطى (النصف الثانى من القرن التاسع) . يضاف إلى ذلك أن عبارة (فى المكتبة الملكية) استخدمت فى ترجمة كتاب العهد القديم (سبتواجنت) (استر ٢ : ٢٣) .

(٦) يرتبط هذا السؤال بالسؤال السابق ، وهو هل كانت المكتبة مستقلة عن الموسيون ؟ والجواب هو : « إذا لم تكن المكتبة مستقلة عن الموسيون منذ البداية فإن استقلالها نما مع ازدهارها » . وجاء زمن كانت فيه المكتبة مؤسسة مستقلة فى مبنى منفصل ، وكان لها آنذاك أمين أو رئيس أمناء . ويحدث مثل هذا التقدم ويتكرر فى المؤسسات الحديثة من المختبر والمراصد وغيرها . وما دامت المكتبة صغيرة فيشرف عليها أحد الكتبة تحت إدارة مدير المؤسسة التابعة لها ، فإذا زاد نمو المكتبة واتسعت ، احتاج الأمر إلى مبنى منفصل وإدارة مستقلة .

(٧) انظر

E.A. Parson, The Alexandrian Library, Glory of the Hellenic world. Its Rise, Antiquities and Destruction. (468 pp., ill.; Amsterdam : Elsevier, 1952).

انظر كذلك مجلة Isis عدد ٤٣ ص ٢٨٦ عام ١٩٥٢ . وتوجد مكتبة الإسكندرية فى ص ١٦٠ من هذا الكتاب ومنها نقلت أسماؤهم ولم آخذ دائماً بتواريخهم .

(٨) هذا كل ما يعرف عنه Pauly - Wissowa sub voce Apollonios No - 82.
ومعنى كلمة ايدوجرافوس – مصنف المؤلفات الأدبية .

(٩) تبدو الأهمية الخاصة بهذه المكتبة المساعدة واضحة فى استخدام مجلة ألمانية كبرى خاصة بشئون المكتبات والمخطوطات والآداب القديمة لفظ سيرابيوم عنواناً لها (صدرت فى ٣١ مجلدا ، ليبزج ١٨٤٠ – ١٨٧٠) . وسوف نستعمل الصيغة اللاتينية « سيرابيوم » لأنها شائعة أكثر .

(١٠) لم أفهم المقصود من النسخ الحكومية ، ولست أدرى من كان أمينها ؟ واستخدم هذه العبارة هـ. إدرس بل فى كتابه « مصر من عهد الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى » وص ٥٤ (١٧٦ صفحة) .

(١١) من الغريب أن تكون الإلياذة أكثر ذيوعا من الأوديسا فإن ماعرف من الأجزاء البردية للإلياذة يفوق عدد الأجزاء التى وجدت من الأوديسا ، مثل تفوق هومر على سائر المؤلفين واليونانيين .

(١٢) تيموثيوس الميلينى (ح – ٤٥٠ – ٣٦٠) ، اكتشفت بردية قصيدة هذا الشاعر وعنوانها (برسيه) أى قصة معركة سلاميس – فى مقبرة يونانية فى مصر ، وهى أقدم بردية أدبية معروفة ويرجع تاريخها إلى نهاية القرن الرابع ق.م . ، أى إنها تكاد تكون معاصرة لزمن المؤلف (برلين) .

(١٣) توجد دراسات تمهيدية فى علم البرديات فى كتابين صغيرين ممتازين : أولهما من تأليف فردريك كينيون (١٨٦٣ – ١٩٥٢)
وعنوانه : Books and Readers in ancient Greece and Rome. (Oxford : Clarendon Press, 1932, 1951), pp. 40 - 74.

وثانيهما من تأليف هـ . بل ، وعنوانه : H. Bell, Egypt from Alexander the Great to the Arab Conquest, pp. 1 - 27.

وكذلك قائمة المصادر فى ذلك الكتاب – ص ١٥٢ – ١٦١ وانظر عن المؤتمرات الدولية فى علم البرديات : Horus : A guide to the history of Science (Waltham, Mass. : Chronica Botanica, 1952) p. 298.

(١٤) انظر المجلد الأول من هذا الكتاب ص ٢٤ – ٢٦ والمعروف أن أجود ما ألف عن البردى قديما وارد فى كتاب بلينى الذى عنوانه Natural History, XIII, 11 - 12.

(١٥) مع العلم بأنه يشتمل على أخطاء كثيرة John W.B. Barnes, The Ashmolean ostracon of Sinuhe (London Oxford University Press, 1952). Journal of the American Oriental Society 74, 58 - 62 (1954). Frans Jonkheere, prescriptions medicales sur ostraca hiératiques, Chronique d'Egypte 29, 46 - 61 (1954).

(١٦) لم يحل الرق محل البردى تماماً حتى فى العصور الوسطى ؛ إذ كان البردى يستعمل فى المنشورات البابوية حتى حوالى سنة ١٠٢٢ انظر (British Museum Quarterly 5, 27 (1931). ثم حل الورق أخيراً محل البردى والرق معاً على أيدى المسلمين وتختلف تواريخ استخدام الورق وصناعته من بلد إلى آخر ، وهذا موضوع معقد جداً . راجع : Thomas Francis Carter : The invention of printing in China and its spread Westwards (New York : Columbia University Press, 1925; rev. ed. Ronald Press, 1931). (Isis., 8, 361 - 373 (1926).

انظر أيضاً فهرست كتابى الذى عنوانه مقدمة فى تاريخ العلم :

(Introduction to the History of Science.

(١٧) انظر ما كتبه المؤلف عن تاريخ علم The Discovery of X - Rays with a facsimile reproduction of Röntgen's first account of them published early in 1896. Isis 26, 349 - 369 (1937).

(١٨) هذا الاسم الجغرافى مأخوذ من اسم السمك النيلى المقدس ، أوكسيرينخوس ، أى السمك ذى الأنف الحاد — وهو نوع من الموريميروس (واسمه العربى مزدا) — وتقع هذه البلدة على خط عرض ٢٨° ٣٠′ واسمها الحالى البهنسا . ولما كان من المستحيل أن تعيش إلا فى الأماكن الجافة . فإن الباحث لاينتظر العثور عليها فى أى مكان فى الدلتا .

(١٩) كان هذا هو المتبع أحياناً فى ترتيب الكتب الغربية ، ونستطيع أن نعرف متى كان كذلك من نسخ الكتب القديمة التى كتبت عناوينها أفقياً على طول حافة الورق . وغالباً ما تحمل الكتب العربية والصينية مثل تلك العناوين .

(٢٠) انظر : Books and Readers in ancient Greece and Rome, p. 86. Papyrus Rolls, VI B.C. to A.D.V. Vellum Codices, V-XV; printed books, XV-XV وتشير التواريخ المتعلقة بلفائف البردى إلى مجموعات أوراق البردى اليونانية ، أما البرديات المصرية فهى أقدم بكثير منها ، وإذا نحن أخذنا البرديات المصرية بعين الاعتبار فإن تاريخ استخدام البردى يرجع إلى ثلاثة آلاف سنة .

(٢١) هذه أسماء رسوم بيانية مرسومة فى لفائف . وكانت الكاكيمونو تعلق بطولها على الحائط ، أما الماكيمونو فقريبة الشبه من لفافة البردى ، أى إنها كانت تلف على العرض ويفتحها القارئ مثل هذه اللفافة بإحدى يديه ويطويها بيده الأخرى .

(٢٢) أصل معنى هذا اللفظ ، ما يكون من فراغ بين مقعدين للتجويف ، ثم استعمل هذا اللفظ فيما بعد للمسافة بين عمودين (أو صفحتين) ، ثم أطلت بعد ذلك على العمود أو الصفحة ذاتها.

(٢٣) كان المدير الأول للمكتبة على وجه التأكيد هو زينودوتوس الأفيسى تمييزاً له من مؤسسها ديمتريوس الفاليرى . وعاش زينودوتوس ح ٣٢٥ — ح ٢٣٤ ق. م . وبدأ عمله أمينا للمكتبة فى أول حكم بطلميوس فيلادلفوس (٢٨٥ — ٢٤٧) ، وأتم تحقيق أشعار هومر قبل ٢٧٤ .

(٢٤) لا أقول الطبعة الأولى ، فلم تكن هذه طبعته هى الأولى أو الأخيرة انظر الجزء الأول من هذا الكتاب (مجلد ١ ص ١٣٦) .

(٢٥) قبل أن تقسم ملاحم هومر إلى كتب أو أبواب كان نتيجة تقسيم هذه الملاحم إلى لفائف منفصلة . غير أن هذا القول لاينطبق على الواقع ؛ لأن اللفافة المتوسطة الحجم كانت تتسع لكتابين من الإلياذة أو ثلاثة كتب من الأوديسا .

(٢٦) لفظ Pleias اليونانى وجمعه Pleiades معناه مجموعة النجوم السبعة المعروفة باسم بنات أطلس السبع وبليوونى ، وكن يسمين أيضاً باسم أبيهن اتلانتيدس ، وعرفن عند الرومان باسم فرجيليا وتستطيع العين المجردة أن ترى ستا منهن ، أما السابعة فلاترى لشعورها بالخزى ، لأنها سمحت لنفسها بالزواج من إنسان – على قول الأسطورة ! وأطلق اسم بلياديس أيضاً على الرجال العقلاء السبعة فى الأساطير القديمة (جـ ١ ص ١٦٧ – ١٦٩) . وكان أفراد البلياد الإسكندرى المذكورة هم : كاليماخوس ، وأبوللونيوس الروديسى ، وأراتوس ، وليكوفرون ، ونيكاندر رومى ، وثيوكريتوس ، بالإضافة إلى إسكندر البليرونى وتوجد آراء أخرى بعدد أسماء هذه المجموعة من الشعراء وأعطى اسم بلياد إلى سبعة من الشعراء الفرنسيين يتوسطهم الشاعر رونسارد (١٥٢٤ – ١٥٨٥) ، وكان إطلاق هذا الاسم على هذه الفئة من الشعراء من باب الإشارة إلى ميولهم الكلاسيكية .

(٢٧) كانت وظيفة أمين المكتبة معدودة فى أوربا ولا سيما فى فرنسا على أنها وظيفة شرفية لا عمل لها ، ويعين فيها الممتازون من رجال الأدب مثل ليكونت دى ليل الشاعر الفرنسى المشهور (١٨١٨ – ١٨٩٤) .

(٢٨) انظر F. G. Kenyon : Books and Readers in Ancient Greece and Rome (Oxford, Clarendon Press. 1931).

(٢٩) راجع J.E. Sandys, History of Classical Scholarship (ed. 3; Cambridge, 1921) Vol. 1. pp. 126 - 131.

لشرح أطول للمجهودات التى قام بها أريستوفانيس البيزنطى فى ميدان فقه اللغة .

(٣٠) جزيرة ساموثريك صغيرة وتبلغ مساحتها ٦٨ ميلا مربعاً ، أى إنها ليست أكبر بكثير من جزيرة جيرزى فى بحر المانش (٤٥ م ٢) .

(٣١) انظر : (Antiquitates judaicae *XII*, 2

حيث يعالج هذا الفصل بصفة خاصة موضوع السبتواجنت .

(٣٢) كانت الأريوسية هى العقيدة الإمبراطورية الرسمية من ٣٣٧ إلى ٣٨١ ، وهذه السنة هى التى انعقد فيها مجلس القسطنطينية الدينى .

(٣٣) توجد تفاصيل أكثر بالإضافة إلى المراجع فى ، المقدمة المجلد الأول ص ٤٦٦ .